■ ماهية شخصية الرجل والمرأة ؟

الشخصية هى ذلك الكل المتحد من النزعات والصفات الثابتة نسبيا ـ سواء الاجتماعية منها أو الخلقية والجسمية والفكرية والعاطفية والسلوكية التى تميزه عن غيره من الناس وعلى ضوئها يلتف الناس حوله أو ينفضون عنه وفقا لمدى توافق وتطابق وجهات نظرهم مع وجهة نظره وسلوكه .

عبر يومنا نلتقى بأنواع عديدة من الناس ، والمؤمن كَيِّسٌ فطن ، يعرف ربه ويعرف نفسه وأحبابه وأعداءه ، ولا يتخبط بين أعمدة الوفاق والنفاق واللاوفاق . قد يغفل لحظة أو ينام أو يتعب يوما أو يتخلف عن مواصلة السير ،ولكنه سرعان ما ينهض من غفلته ويقوم من كبوته ، ويعاود الجد والعمل والجهاد فى ضوء المعقول والمنقول ، يهتدى بسنة السلف الصالح ومن قبلهم سنة المصطفى ﷺ وكتاب ربه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنبدأ موضوعنا هذا بتناول طرق الحكم على شخصية المرء (ذكرا كان أم أنثى) فى ضوء علم النفس ثم نتبعه فى ضوء الإسلام . لنصحح بعض المفاسد والأخطاء فى الفكر . ونتحكم فى عواطفنا وانفعالاتنا . ثم نحسن تطبيق ما أدركناه وعلمناه وفهمناه .

فكم من زوج يتجرع المرارة فى حياته الزوجية لأنه أخطأ فى الحكم على نوعية المرأة التى اختارها بنفسه ، أو اختارها له أهله ، لأنهم ظنوا أن الشخصية الجميلة القديرة لابد أن تكون صاحبتها جميلة المنظر وإن نشأت فى بيت سيئ المخبر .

وكم من امرأة تعانى وتكابد من جراء نكاحها زوجا فاسدًا أساء أهلها اختياره ، لأنهم ظنوا أن صوت الدنانير والدراهم يعلو فوق صوت الحق !! وأنه لا يعيب الرجل إلا جيبه أو فقره ، ففضلوا رجلا غنيا فى ماله فقيرا فى أخلاقه على رجل فقير فى ماله ثريا فى أخلاقه !!

إن إلماما سريعا بماهية الشخصية ، ونوعها (سوية ـ معقدة ـ مريضة) ليمنح المرء قدرة خلاقة أن يستشف صورة صادقة للغد القريب من حياته فى كنف شريك حياته (فى الزواج) أو طبيعة الشراكة فى مشروع ما مع من اختاره رفيقا فى دربه

وأحلامه .. !!

وسيدرك الإنسان وقتها ما الاحتمالات المرتقبة لهذا الامتزاج .. النجاح أم الفشل .. السعادة أم الشقاء .. النعيم أم الجحيم .. الصحة النفسية أم المرض !!

ترى ما الشخصية السوية ؟ وما الشخصية المعقدة ؟ وما الشخصية المريضة نفسيا أو عقليا ؟

■ **الشخصية السوية** :

اختلف فى تعريفها علماء النفس فتراها تأخذ عدة تعريفات :

[أ] فى المعيار المثالى : الشخصية السوية هى الكاملة أو التى تقترب من الكمال ومن ثم قالت مدرسة التحليل النفسى ليست هناك شخصية سوية .

[ب] المعيار الإحصائى : الشخصية السوية هى التى لا تنحرف كثيرا أو إطلاقا عن المتوسط ، فهى ليست بالعبقرية وليست مع ضعاف العقول .

[ج] المعيار الحضارى : الإنسان السوى هو الذى يجارى قيم المجتمع وقوانينه وأهدافه ومعاييره ، أيا كانت تلك المعايير (صالحة أو فاسدة) بمعنى أنه يتكيف ويتوافق مع نهج المجنمع ..

عيوبه :

١ ـ إذا توافق الإنسان وتكيف مع نهج المجتمع ولو كان فاسدا دون أدنى اعتراض أو رفض اعتبر إنسانا سويا وإذا اعترض صار شاذا .

٢ ـ كل بلد أو بيئة أو مجتمع له قيم وأعراف تعد سلوكا طبيعيا فيه بينما تعد سلوكا بغيضا وشاذا فى غيره مثلما فى بعض القبائل البدائية حيث يتزوج الرجل المرأة وابنتها فى آن واحد ، وقد تتزوج المرأة أكثر من رجل فى آن واحد ، وقد ينسب الولد إلى خاله وليس إلى أبيه فى بيئة أخرى .

٣ ـ غض الطرف عن بعض الجرائم واعتباره سلوكا طبيعيا مثل :

ـ وأد البنات خشية الإملاق أو العار لم يكن جريمة فى الجاهلية العربية قبل الإسلام .

ـ التخلص من أبناء السفاح (وهم أجنة) فى بعض بلدان أوربا لا يعتبر كذلك جريمة .

ـ تخصيص أماكن خاصة لممارسة البغاء والشذوذ فى دول أوربا .

ـ تخصيص أماكن للعب القمار وشرب الخمور والمجون .

ـ الانتحار فى الحضارة الغربية دليل على اضطراب نفسى وعقلى .

ـ الانتحار فى بعض مدن اليابان فى بعض الظروف يعتبر ظاهرة سوية .

ـ جنون التوهم والتقمص ؛ يعتبر سلوكا عاديا عند الهنود الحمر ويعتبر علامة مرضية عند الغربيين .

[د] المعيار السيكولوجى (الطبنفسى) : يرى أن الشخصية الشاذة هى تلك التى تنحرف أو تشذ نتيجة لصراعات نفسية لا شعورية أو نتيجة تلف فى الجهاز العصبى . ويعتبر هذا المعيار أفضل المعايير لأنه يمكن أن يطبق على أى مجتمع ويتلافى عيوب المعايير السالفة ، والشخصية السوية هى التى تحب وتُحب ، تعطى وتأخذ .. تألف وتؤلف وتتأقلم وتتكيف ـ مع المحافظة على قيمها ومبادئها ـ مع أفراد المجتمع الذين تضطرهم الظروف للعيش معهم أو العمل تحت إمرتهم .

■ **أسباب الشذوذ فى الشخصية** :

[١] عضوى (بنائى ــ فسيولوجى) : كتلف فى النسيج العصبى للمخ نتيجة وجود ورم أو خراج أو تجمع دمى أو تصلب فى شرايين المخ ، أو اختلال هرمونى عميق ، أو الإصابة بالتهاب فى أغشية المخ كالحمى الشوكية أو المخية أو اضطراب كبير فى عملية الأيض ، وينتج عن هذا الاضطراب العضوى بعض الأمراض العقلية كجنون الشيخوخة وجنون المخدرات والشلل الجنونى العام .

[٢] وظيفى (سيكولوجى) : هنا السبب يكون نفسيا وليس عضويا ، ويرجع إلى صدمات انفعالية حادة وأحداث أليمة واضطراب فى البيئة الأسرية والاجتماعية التى تربى فى كنفها هذا الإنسان الشاذ ، وينتج من هذا الاضطراب الوظيفى النفسى الأمراض النفسية والأمراض السيكوسوماتية وبعض الأمراض العقلية ، والانحرافات الجنسية (اللواط ـ السحاق) والإجرام النفسى المنشأ .

■ **الشخصية المريضة نفسيا** :

يشعر صاحبها بوجود أعراض نفسية وجسمية مختلفة كالقلق والوساوس القهرية والأفكار المتسلطة والمخاوف الشاذة والتردد المفرط والشكوك التى لا أساس لها ، وأفعال قسرية يجد المريض نفسه مضطرا إلى أدائها بالرغم من إرادته ومن أمثلتها : القلق العصبى ـ الهيستيريا ـ الوسواس القهرى ـ المخاوف الشاذة .

■ **الشخصية المريضة عقليا** :

هى صورة مختلة يعانى صاحبها من اضطراب شديد فى مراكز الإرادة والفكر والإدراك والوجدان والنزوع ، وعجز بالغ عن ضبط النفس مما يحول دون الفرد وتدبير شئونه ويمنعه من التوافق فى أى صورة من الصور سواء كان التوافق عائليا أو اجتماعيا أو مهنيا أو دينيا ، وأسبابها باختصار :

ـ **عضويا** : نتيجة لتلف النسيج العصبى من الزهرى والمخدرات وتصلب الشرايين .

ـ **وظيفيا** : وتكون العوامل النفسية غالبة فى إحداثها مع توافر عنصر الوراثة.

■ **الشخصية المعقدة نفسيا** :

هى شخصية لديها مجموعة من الذكريات والأحداث غير السارة ، وهى مصحوبة بانفعال من الذعر أو الخوف أو الغضب أو الغيرة أو الشعور بالذنب ، وهى استعداد لا شعورى مكبوت يقسر المرء على ضروء شاذة من السلوك والشعور والتفكير ، والعقد أنواع مختلفة مثل عقدة زوج الأم ، وعقدة زوجة الأب أو الغيرة من الإخوة ، أو الشعور بالذنب ، وعقدة الخواجة .. إلخ .

وهناك أنواع أخرى لشخصيات سوية تتميز بنزعات وصفات خاصة ، ولكن أصحابها يتميزون بالقدرة على التكيف والتعامل مع الآخرين والإنتاج فى حدود طبيعية ، ولا تصل إلى درجة المرضية إلا إذا ازدادت وتضخمت خصائص كل منها إلى الحد الذى يفقد صاحبه الود والائتلاف مع الآخرين فلا يقدر على التكيف والتعامل مع المحيطين به ويقل إنتاجه وتظهر عليه أعراض المرض النفسى .

فهناك الشخصية القلقة : وتتميز بالتوتر والشد العصبى الدائم وسهولة الإثارة والغضب والشعور بعدم الاستقرار ويوصف صاحبها بأنه الإنسان الذى يمشى على رأسه بدلا من قدميه لأنه لا يترك الأمور تسير فى مجراها الطبيعى دون عصبية أو انفعال زائد .

والشخصية المكتئبة : وهى التى يتعامل صاحبها مع كل شىء فى الحياة بتشاؤم زائد ، وينظر دائما بمنظار قاتم حزين، ويحمل نفسه ذنوب وأخطاء الغير .

أما الشخصية المرحة : فيعيش صاحبها المرح والفرح والحياة السهلة والتفاؤل المستمر .

وهناك الشخصية الوسواسية : وتتميز بالدقة والنظام الشديد والضمير الحى

الذى لا يرحم صاحبه ، ويحاسبه دائما ، ويتميز أيضا بالحض على إتمام الكمال فى تنفيذ كل عمل .

والشخصية الفصامية الانطوائية : وتراها فى الأفراد المفكرين والذين يتعاملون مع أنفسهم أكثر من تعاملهم مع الآخرين ، ويحبون القراءة والعزلة ، ويجدون متعة فى التقوقع والانطلاق مع النفس مع شىء من الحساسية المفرطة وسوء الفهم تجاه تصرفات وأفكار ومعاملات الآخرين ، مع بعض الشك المستمر والحذر والحرص الشديد فى العلاقات بهم .

أما الشخصية الهستيرية : فهى أكثر شيوعا فى المرأة عن الرجل وتتصف بسطحية العواطف والانفعال وحب الظهور ولفت الأنظار حولها والمظاهر الزائدة والمبالغة فى كل شىء .

وهناك الشخصية النوابية المتقلبة المزاج والانفعال : والتى يتأرجح فيها المزاج الوجدانى ما بين الفرح والسرور والحزن والقنوط .

وهناك كذلك الشخصية الصراعية الاندفاعية : وهى توصف بكثرة الرعونة والاندفاع الشديد مع الحيرة فى الطبع والتسرع والاندفاع فى أى فعل أو فكر .

الشخصية المؤمنة المتزنة السوية : هى تلك التى يكون لصاحبها وعى عميق وحس صادق ومنطق راشد من خلال اهتدائها بكتاب ربها واتباعها سنة نبيهاﷺ وحبها للأدب والبلاغة والمنطق الكريم والحكمة والعلم .

ويستنتج ذلك من قصة هذا الأب الحكيم الذى أتاه ابن أخيه يخطب ابنته فسأله : يا ابن أخى .. أسمعنى عشر سور من القرآن الكريم .. فقال الله الشاب : والله لا أحفظ . فقال الأب : فأسمعنى عشرة أحاديث لرسول الله ﷺ ، فقال الشاب : والله لا أحفظ ، فقال الأب : فأسمعنى عشرة أبيات من الشعر ، فقال الشاب : والله لا أحفظ ، فقال الأب : قم يا ابن أخى فعلام أزوجك ابنتى ، فأنت لا تحفظ شيئا من القرآن ، ولا من سنة نبينا ﷺ ولا تحب الشعر والأدب ، فامض على بركة الله وخذ منى هذا المال هدية لك ولكن لا زواج لك عندى .

وهى تلك التى تتكيف مع المجتمع وأفراده فى حال صلاحه ، وتعانى من سوء التوافق فى حال ضياع المجتمع وفساد نظمه ، لكنها لا تنسحب ولا تنطوى على نفسها بل تعمل على نصح الأمة وحكامها بالحسنى والحكمة ، لتأخذ بيد الضعيف وليتوب العاصى ، وليعود الناس إلى العبادة الحقة لله .

وهى أيضا لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يـأكل طعامـها إلا تقـى .. تنفيـذا لوصيـة المصطفى ﷺ الناصحة القوية المدوية فى أذن كل مسلم ومؤمن .

والشخصية المؤمنة السوية تسامح نفسها إن أخطأت فى الصغـائر وتتـوب إلى الله بسرعة ، وتلوم صاحبها إذا اقتربت من أسوار الكبائر ، هى لديها نفس لوامـة (بغير إفراط أو تفريط) ، ونفس أوابة تتوب وترجع إلى الله وتعلم أن كل النـاس لو أوصدوا أبوابهم أمامها ذات يوم فباب الله لا يوصد أبـدا ، ومـن عـرف كيـف يسامح نفسه ويغفر لنفسه زلاتها اسـتطاع أن يقبـل عـذر المعتـذر ، ويغفـر إسـاءة المسيء لأن كل ابن آدم خطاء ، وهذه سنة البشر أجمعين ، ولكـن أفضـل الخطـائين التوابون والراجعون إلى ربهم مرة أخرى ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .. !!

وهى كذلك تعرف فن الإقبال أو الإحجام فى حب ، أو كره ، فـى عمـل ، فـى مشروع ، تعرف الانسحاب والهجوم ، لا تندفع خلف النزوات ، ولا تثير شـهوتها المغريات ، ولا تتصرف كآلة صماء ، اقتداء بوصية رسول الله ﷺ : "**أحبب حبيبـك هونا ما ، عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وأبغض بغيضك هونا مـا عسـى أن يكون حبيبك يوما ما**"[1]. وهى أيضا إذا شبعت لا تبطر ، وإذا جاعت لا تصخب ، وإذا جاءها البلاء صبرت ، وإذا أتاها الرخاء شكرت فاستحقت الأجر والرضاء من الله تعالى فى كافة أحوالها ، قال رسول الله ﷺ : "**عجبا لأمر المؤمـن وكـل أمـره عجب، إذا أصابته ضراء صبر فاستحق الأجر، وإذا أصابته سراء شكر فاسـتحق الأجر**"[2].

والنفس السوية تحب لنفسها الخير وتسعى لعمله ، وتحب لغيرها الخير كذلـك وتدعوها لبذله ، هى إذا حضرت فى مجلس مظلم أضاءته بذكر الله تعـالى والحمـد لله والاستغفار إليه ، والصبر على الشدائد ، وإن كان المجلس مضيئا زادتـه ضيـاء ، بحضورها تأتى السعادة والطمأنينة والبهجة إلى نفوس الجالسين ، وبغيابـها يفتقـد الناس إلى شىء ثمين .. !! .

حياتها عطاء ، وتضحية وبذل .. ولا تنتظر من أحد جزاءً أو شكورا لأنها تعمل من أجل الله سبحانه وتعالى ، وكفى الله وكيلا وحسيبا .. !!

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٢٠٦٥) ، وقال حديث غريب .

(٢) أخرجه مسلم فى الزهد (٦٤) ، والدارمى فى الرقائق (٦٤) ، وأحمد (٤/٤٣٥) .